دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	الفكر السياسي الفلسطيني، 1918 - 1948
المصدر:	شؤون فلسطينية
الناشر:	منظمة التحرير الفلسطينية - مركز الأبحاث
المؤلف الرئيسي:	شبيب، سميح
المجلد/العدد:	ع211
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1990
الشهر:	أكتوبر
الصفحات:	87 - 90
رقم MD:	629749
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	EcoLink
مواضيع:	الفكر السياسي، الكتاب الفلسطينيون، فلسطين، العصر العثماني، الانتداب البريطاني، كتاب: الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني، 1918 - 1948، محافظة، علي، عرض و تحليل الكتب
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/629749

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

الفكر السياسي الفلسطيني، ١٩١٨ ـ ١٩٤٨

د. علي محافظة، **الفكر السياسي في فلسطين من نهاية الحكم العثماني حتى نهاية الانتداب البريطاني**، ١٩١٨ ـ ١٩٤٨، عمّان: مركز الكتب الاردني، الطبعة الأولى، ١٩٨٩، ٣٨٧ صفحة.

على الرغم من الاهتمام المتزايد بكتابة تاريخ القضية الفلسطينية، خلال السنوات الاخيرة، وظهور المزيد من الكتب المتخصّصة بمختلف الجوانب، الاّ ان هذا الكتاب، هو الوحيد الذي يعالج جانب تطوّر الفكر السياسي الفلسطيني خلال الفترة المذكورة أعلاه.

أوضح مؤلف الكتاب، في مقدمته، ان نصيب الحياة السياسية من الدراسات والبحوث كان وافراً. غير ان نصيب الفكر السياسي منها ضئيل، «ولذا، رأيت ان أسُدّ هذه الفجوة، وعزمت على ان أتلافى هذا النقص، فعدت الى المصادر الأولية من مؤلفات صدرت عن رجال الفكر والسياسة في ظل الاحتلال والانتداب البريطانيين [١٩١٨ ـ ١٩٤٨]، ومقالات وبيانات وشهادات، وغيرها من وثائق نشرت في المدة نفسها، وفي ما تلاها، ودرستها دراسة وافيـة؛ وأفدت كثيراً من الدراسات والبحوث المنشورة التي تناولت الحياة السياسية في هذه الحقبة الزمنية، فخرجت بهذه الدراسة التي أقدمها الى الباحثين والقراء العرب، مساهمة متواضعة في دراسة تاريخ فلسطين المعاصر» (ص ٣).

وتحت هذا المحتوى، جاءت مواد الكتاب مرتبة ترتيباً منهجياً، عبر سبعة فصول أساسية، تتفرع عن كل منها نقاط تفصيلية، وتركّز، في مجملها، على الافكار السياسية المفصليّة، دون ان يتحكم بها العامل الزمني فقط.

بدأت مواد الكتـاب بمدخل عام، يشكّل، بمجمله، الاطار الاقتصادي ـ الاجتماعي، منذ نهايات الحكم العثمـاني وبـدايـات الغزو الصهيوني لفلسطين، وبروز الوعي السياسي، الذي تجسّد بالدعوة الى الجامعة الاسلامية، والى القومية العربية، وادراك الخطر الصهيوني، منذ ان اتخذ الغزو شكلاً منظماً في الربع الاخير من القرن التاسع عشر. وأشار الكتاب الى ان أول من أدرك طبيعة الحركة الصهيونية، ومستقبل صراعها مع الحركة القومية العربية، هو نجيب عازوري، في كتابه «يقظة الأمة العربية»، الذي أُصدر في باريس سنة ١٩٠٥؛ وان أول الصحف العربية التي نبّهت الى الخطر الصهيوني، كانت صحيفة «الكرمل» التي أُسّست في حيفا سنة ١٩٠٩، حيث شنّ صاحبها، نجيب نصار، حملة قوية على الصهيونية، ونشر كتاباً بعنوان «الصهيونية؛ تاريخها، غرضها، أهميتها».

تعرّض الفصل الاول الى مفهوم الاستقلال الوطني والموقف من الاحتلال والانتداب البريطانيين، بدءاً من عدم وضوح الاستقلال السياسي في أذهان المفكرين ورجال السياسة العرب في فلسطين، حيث كان هؤلاء يعتبرون جوهر الاستقلال في «التحرر من نفوذ أجنبي أو حماية أجنبية، مع التمسّك بوحدة فلسطين مع الاقطار الشامية الاخرى» (ص ٢٧)، انتقالاً الى تغيير هذا المفهوم، في أعقاب قرارات مؤتمر سان ريمو، في نيسان (ابريل) ١٩٢٠، وسقوط مدينة دمشق في أيدي الفرنسيين، في السنة عينها؛ اذ مُنيت فكرة الاستقلال الوطني بتراجع، ظهرت نتـائجـه واضحـة في قرارات المـؤتمـر الفلسـطيني العربي الثالث، الذي عقد في حيفا، في ١٨ كانون الاول

(ديسمبر) ١٩٢٠، وأصبح الاستقلال الوطني يعني «تأليف حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس نيابي ينتخب أعضاءه الشعب المتكلم باللغة العربية، القاطن في فلسطين حتى أول الحرب العالمية الاولى». ومثّل هذا التغيير، «اعترافاً بواقع التجزئة المفروضة على المشرق العربي» (ص ٢٨).

أمّا بالنسبة الى الموقف من الاحتلال البريطاني، فتطرّق الكتاب الى البدايات، مؤكداً ان السياسيين والمفكرين العرب نظروا الى القوات البريطانية نظرة الحليف، بينما نظروا الى العثمانيين نظرة «القوات المهزومة». وأبدى فريق من المسلمين أسفهم على زوال الحكم العثماني، الاّ ان الفكرة السائدة كانت الترحيب بالقوات البريطانية، من جهة، وشعور معظم الفلسطينيين بأن الاحتلال العسكري البريطاني ما هو الاّ أمر مؤقت اقتضته الضرورات، «ولا بدّ ان تتلوه تسوية سياسية تحدّد مصير البلاد ومستقبلها» (ص ٣٤).

إلاّ ان هذه الفكرة سرعان ما أخذت في الانحسار، على أثر الاعلان عن نظام الانتداب؛ اذ اعتبرته الاكثرية مناقضاً لميثاق عصبة الأمم والمواثيق الدولية، الامر الذي أسهم في تطوير الفكر السياسي الفلسطيني والانتقال الى مواقع المعارضة، ومن ثمّ الاختلاف، فالصراع مع الانتداب البريطاني.

تعرّض الفصل الثاني الى النضال السياسي منذ بدايات العمل الدبلوماسي الفلسطيني، وشعور القيادات السياسية العربية في فلسطين بخطورة التآمر البريطاني ـ الصهيوني على فلسطين، وكذلك من خلال ما تركته ممارسات الاحتلال البريطاني من آثار سلبية في الجانب الفلسطيني. وتبلور النضال السياسي الفلسطيني، فاتخذ اشكالاً مميزة مع اقتراب انعقاد مؤتمر سان ريمو، في نيسان (ابريل) ١٩٢٠؛ اذ حاولت «اللجنة التنفيذية العربية» ارسال وفد لايضاح وجهة نظرها للدول الحليفة؛ الاّ ان السلطات البريطانية رفضت هذه المحاولة، وتأجل اللقاء حتى مجيء وزير المستعمرات البريطاني، ونستون تشرتشل، الى فلسطين، حيث التقته القيادة الفلسطينية في أواخر آذار (مارس) ١٩٢١، وسمعت منه «ان حق بريطانيا في فلسطين مبنيّ على حق الفتح العسكري».

صُدمت القيادة الفلسطينية من التعارض التامّ بين وجهة نظرها ونظرة تشرتشل. وتعرّض هذا الفصل، أيضاً، الى نشاط اللجنة التنفيذية، برئاسة موسى كاظم الحسيني، وارسالها الوفود الى لندن خلال فترة ١٩٢١ ـ ١٩٣١، وعدم جدوى تلك الوفود، من جهة، وما أثارته من غضب في أوساط الشباب الفلسطيني وقواه الناهضة، من جهة أخرى، الأمر الذي أدّى، بدوره، الى خلاف حول أولويات العمل الوطني، وتحديد العدو الاول الواجب مقاومته، أهو الحركة الصهيونية أو الانتداب البريطاني؟ «وانقسم هؤلاء الى فريقين: فريق تقليدي يعتبر الصهيونية العدو الأول، وينادي بالعمل على كسب الانكليز الى جانب العرب، لمقاومة المخططات الصهيونية؛ وفريق من الشباب يعتبر الانتداب العدو الاول الواجب مقاومته، لأنه حامي الحركة الصهيونية ومنفّذ خططها. ويمثّل الفريق الاول اللجنة التنفيذية العربية» (ص ٢٩)؛ أمّا الفريق الآخر، فمثّله فريق الشباب «الذي يعتبر الانتداب هو العدو الأول والخطر الأكبر الواجب مقاومته» (ص ٦٠).

وتطرّق هذا الفصل الى سياسة اللاتعاون، ثمّ فشلها والعودة الى مبدأ التفاوض، أملاً في تحصيل شيء. وبعدما تيقّنت اللجنة التنفيذية من عدم جدوى التفاوض، بدأت بالدعوة الى العصيان المدني، الأمر الذي تطوّر وصولاً الى اندلاع ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩. وتناول الفصل، بشيء من التفصيل، العمل السياسي في اثناء تلك الثورة، وصولاً الى القبول بـ «مؤتمر لندن» و«الكتاب الأبيض» لسنة ١٩٣٩، انتقالاً الى النضال السياسي في أثناء الحرب العالمية الثانية واتصال الحاج أمين الحسيني بدولتي المحور، ألمانيا وايطاليا؛ ومن ثمّ التعرّض الى النضال السياسي بعد الحرب العالمية الثانية، وتشكيل «اللجنة العربية العليا» سنة ١٩٣٦، ومحاولات عرض القضية الفلسطينية على الامم المتحدة، ورفض قرار التقسيم، والدعوة الى تأليف اللجان القومية في المدن لتنظيم شؤون الدفاع المحلي.

الفصل الثالث تمّ تخصيصه للمسائل المتعلّقة بالكفاح المسلّح، منذ بداية الصدامات الاولى، وانتقالاً الى هبّة البراق سنة ١٩٢٩، فمظاهرات سنة ١٩٣٣ وبروز حركة القسّام، فاندلاع ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩،

والتعرّض الى أسباب فشلها. ثمّ تناول الفصل الحرب العربية ـ اليهودية في الفترة ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨، وتحليل ظروفها، وابراز اسباب اندلاعها.

وتعرّض الفصل الرابع الى ابعاد المواجهة الفلسطينية للتحدي الصهيوني، بدءاً من مقاومة الهجرة، ووعد بلفور، ومقاومة بيع الاراضي لليهود، انتقالاً الى مقاومة اتفاقية التحويل (هعفراه) الصهيونية ـ الالمانية سنة ١٩٣٣، والاحتجاج على المساعدات الاميركية للصهيونية، وكذلك المقاطعة العربية للبضائع والمنتوجات اليهودية. وفي نهاية الفصل، تطرّق المؤلف الى محاولات التعاون العربية ـ الصهيونية، ودور الحركة الصهيونية في التقرّب من الاوساط العربية، من جهة، ومحاولة لعب دور سياسي داخل صفوفها، فاستخلصت «ان جهود الصهيونيين في شقّ صفوف الحركة الوطنية الفلسطينية قد تكلّلت بالنجاح في حالات كثيرة؛ غير ان جهودها في ايجاد تنظيمات عربية متعاونة معها كانت محدودة جداً» (ص ١٦٠).

وفي الجزء السادس من الكتاب، تطرّق الباحث الى مسائل في غاية الجدية والدقّة، هي المسائل المتعلّقة بالديمقراطية والحريات العامة. وعزا المؤلف أسباب انتشار تلك الافكار الى «تأثر رجال الفكر والسياسة في فلسطين بالتيارات السياسية العامة السائدة في الوطن العربي، ولا سيما في المشرق منه. وكان الفكر الليبرالي هو المهيمن على الساحة العربية. وكان الاقتداء بالغرب، المسيطر سياسياً وعسكرياً واقتصادياً وثقافياً، هو القاعدة» (ص ١٦٣).

وظهر تأثر رجال الفكر والسياسة الفلسطينيين بأفكار جون لوك وجان جاك روسو ومونتيسكيو وهربرت سبنسر ودوركهايم وغيرهم من قادة الفكر الليبرالي، بتناولهم مسائل علاقة الفرد بالمجتمع، وحاجة الفرد الى الجماعة، والدعوة الى الحياة النيابية وممارسة الديمقراطية. واستعرض هذا الفصل، في السياق، النشاط السياسي الفلسطيني، وأبرزه المجلس الاستشاري والمجلس التشريعي والمفاوضات العربية ـ البريطانية حول تعديل مشروع المجلس التشريعي سنة ١٩٢٤، وكذلك المجالس البلدية والمجلس الشرعي الاسلامي الأعلى والنزاع بين الطائفة الارثوذكسية العربية وأخوية القبر المقدس اليونانية، وأخيراً التأثر الفكري بالفاشية والنازية.

أمّا الفصلان، السادس والسابع، فقد خصّصهما المؤلف لدرس ظهور ونمو التنظيمات السياسية القطرية، والعقائدية، بدءاً من تشكيل «النادي العربي» في القدس، أوائل حزيران (يونيو) ١٩١٨، من الحسينيين، ثمّ تأسيس «المنتدى الادبي» في السنة عينها كناد موالٍ للنشاشيبية، وتأسيس الجمعيات الاسلامية ـ المسيحية. وانتقل الكاتب الى المؤتمرات العربية ـ الفلسطينية، والى الانقسامات في صفوف الحركة الوطنية في ما بين ١٩١٨ ـ ١٩٢٩، وتأسيس الاحزاب. وتعرّض الى الاحزاب المنشقة عن الحركة الوطنية، وهي: الحزب الوطني، وحزب الأهالي، وحزب الاعيان، والحزب الحر الفلسطيني، وحزب الاحرار الفلسطيني، لينتقل، إثر ذلك، الى انتخابات المجلس الاسلامي الأعلى وانتخابات البلدية. وبالنسبة الى الاحزاب الوطنية، تناول الكتاب أحزاب «الدفاع»، و«العربي الفلسطيني»، و«الاصلاح»، و«حزب الكتلة الوطنية»، و«حزب الجهاد».

في ختام الفصل السادس، تناول المؤلف ائتلاف الاحزاب والعمل السياسي المشترك، وعدم تمكّن الحركة السياسية من الاستمرار في فترة ما بعد العام ١٩٣٨، ومن ثمّ العودة الى التنظيم والنشاط بعد الحرب العالمية الثانية.

أمّا بالنسبة الى التنظيمات السياسية العقائدية، فقد قسّمها الباحث الى ثلاث فئات، وهي التنظيمات القومية وتشمل المؤتمر العربي في القدس، ومؤتمر الشباب العربي، وحزب الاستقلال العربي، وحركة القوميين العرب، والحزب القومي السوري، والتنظيمات الاسلامية التي تتألف من الأندية الاسلامية وجمعيات الشبان المسلمين وجماعة الاخوان المسلمين. وكذلك الى التنظيمات الشيوعية التي تشمل الحزب الشيوعي الفلسطيني وعصبة التحرر الوطني. وكان التركيز على المضمون الفكري ـ السياسي لهذه الاحزاب دون الغوص في عوامل ولادتها، ونشوئها، وتلاشيها، وذلك بهدف رسم الاطار التنظيمي للفكر السياسي الفلسطيني، الأمر الذي

اقتضى، بدوره، التوجّه الى تتبع مؤتمرات الاحزاب، والخلافات فيما بينها، ومواقفها ازاء بعضها البعض، وموقف الرأي العام منها.

ملاحظات عامّة

بعد العرض الموجز لما تضمّنه الكتاب من فصول وآراء، لا بدّ من تسجيل بعض النقاط والملاحظات العامّة على منهج الكتاب. فموضوع البحث، أولاً وقبل أي شيء، هو موضوع جديد، على الرغم من ظهور بضع مقالات ودراسات وآراء سبق وان نشرت في هذا المجال. ولعلّ أبرز ما ساعد الكاتب في التصدي لهذا الموضوع الجديد، هو ما سبق له ان قام بدرسه، حيث سبق له ان نشر كتاباً بعنوان «النهضة الفكرية عند العرب في عصر النهضة، ١٧٩٨ ـ ١٩١٤»، سنة ١٩٧٥؛ ثمّ ألّف كتاب «الحركات الفكرية في عصر النهضة في فلسطين وشرق الاردن، ١٧٧٥ ـ ١٩٢٥»، سنة ١٩٨٧. لذا، فقد جاء هذا الكتاب مكملاً لما بدأه د. محافظة، بل انه شكّل لبنة جديدة في بناء دراسات الفكر السياسي المعاصر. وعلى الرغم من ان معظم الوقائع والاحداث الواردة في الكتاب هي وقائع وأحداث باتت متداولة، خاصة ما يتعلّق منها بالبنى السياسية والتنظيمية، الّا ان المؤلف تمكّن، من خلال امتلاكه القدرة المنهجية التحليلية، من جهة، وفهمه للأحداث ضمن اطارها التاريخي، من جهة أخرى، من اعادة تكوين، وتركيب، تلك الاحداث بما يتوافق ومنهج البحث وأهدافه.

ونظراً الى تعدّد أشكال الفكر السياسي الفلسطيني، وشرعية تطوّره، وما تخلّله من تعددية وتطوّرات لا تخلو من مفاجآت، فقد كان المؤلف مضطراً، في حالات كثيرة ومتعدّدة، الى اللجوء الى سوق الاستشهادات الطويلة، وذلك بهدف عرض الشكل السياسي ـ الفكري الجديد الذي يتناوله. لذا، فانه لا يمكننا اعتبار طول الاستشهادات مثلباً في البحث، بل لقد شكّلت الاستشهادات ميزة ايجابية، من شأنها وضع القارىء في صورة التطوّر السياسي، وبالشكل الذي جرى به. وفي هذا السياق، لا بدّ من القول، ان الكاتب حرص على اختيار استشهاداته من الوثائق الاساسية، وشكّلت ملفات الصحف أحد أهمّ قنواتها.

باختصار، فان كتاب د. محافظة، يشكّل اضافة نوعية في سياق البحث التخصصي التاريخي المعاصر، من شأنها التمهيد لدراسات أكثر تخصّصاً وتحديداً في الميدان ذاته.

سميح شبيب